من أعلام النحو في الكوفة
"محمد بن سعدان"
آراؤه النحوية والصرفية
عرضا ومناقشة

للدكتور رعبد الحافظ حسن السيلي

حمدا لله وحده ، وصلاة وسلاما على من لا نبى بعده .

وبعـــد

فمدرسة الكوفة النحوية احدى مدرستين قام على عاتقهما علم النحو العربى ، وثبتت دعائمه وقويت أركانه على يد أعلامها الأفذاذ ، ولذا كان

(*) سعدان ــ بفتح السين ــ : منقول من نبات له شوك ترعاه الابل . انظر: القاموس المحيط للفيروزابادى ٣٠٢/١ الناشر مؤسسة الحلبى بالقاهرة وتاج العروس للزبيـــدى ٣٧٨/٢ (فصل السين باب الدال فيهمـــا) مطبعة بولاق . الناشر دار ليبيا ــ بنغازى .

ومنه المثـــل العربى « مرعى ولا كالسعدان ... » انظر : الفـــاخر فى الأمثال لأبى طالب المفضـــل بن سلمة بن عاصم تحقيق عبد العليم الطحاوى ومراجعة محمد على النجار ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م وهو يضرب مثلا للشىء يفضل على أقرانه وأشكاله .

والنون فيه زائدة ، لأنه ليس فى كلامهم ما هو على زنة « فعلال » من غير المضـــاعف الذى الحرفان الأخيراهن منه بمنزلة الأولين ، سواء أكان اسما كـ « زلزال » ام صفة كـ « صلصال » ؟ الا حرف واحد ، حكاه الفراء ، وهو قولهم : « ناقة بها خزعال » وهو شـــاذ . انظر : الممتع فى التصريف لابن عصفور ١٥١/١ تح د/فخر الدين قباوة .

لها أكبر الأثر فى مسيرة هذا العلم الى جانب مدرسة البصرة ، وان اختلفت نزعتهما ، فكان لكل منهما طريق عرف به يخالف الآخر •

ومحمد بن سعدان واحد من هؤلاء الأعلام الذين أرسوا دعائم هذه المدرسة ورسخوا قواعد علم النحو فيها كالكسائى (م ١٨٩ هـ) والفراء (م ٢٠٧ هـ) وغيرهما[1] • ومع هذا لم يحظ باهتمام الدارسين والباحثين كما حظى غيره من نحاتها ، فضلا عن قلة من ترجم له ، حتى الذين ترجموا له أتت ترجمتهم موجزة لا تتفق وقيمته العلمية ، ومن هنا نلقى الضوء على هذه الشخصية التى لعبت دورا كبيرا فى هذا العلم فى عجالة سريعة :

اسمه وكنيته :

هو محمد بن ابراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك ، الضرير ، النحوى ، المقرىء يكنى « أبا جعفر » ، وقد كان أبوه — كما وصفه ابن النديم — جماعة للكتب صحيح الخط — صادق الرواية •

نشأته وثقافته :

ولد ببغداد سنة احدى وستين ومائة هجرية ، ونشأ بالكوفة — فى بيت علم — وتلقى على بعض علمائها أنذاك ، فأخذ عن أبى معاوية الضرير وغيره حتى ذاع صيته واشتهر بالعربية والقراءات •

قال بعضهم : « أخذ ابن سعدان القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة » اهـ •

أذكر من هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر : سليم بن عيسى

---

(١) عده الزبيدى فى « طبقات النحويين واللغويين » من نحاة الطبقة الرابعة الكوفية .

عن حمزة ويحيى بن المبارك اليزيدى عن أبى عمرو ، واسحاق بن محمد المسيبى عن نافع ومعلى بن منصور عن أبى بكر بن عاصم •

وقد ذكره أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادى فى « تسمية قراء أهل مدينة السلام » قال :

« وكان أبو جعفر محمد بن سعدان النحـــوى الضرير يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه فنسد عليه الأصل والفرع الا أنه كان نحويا » اه •

وقد روى القراءة عنه عرضا وسماعا جمع كثير ــ أيضا ــ أذكر منهم : أحمد بن محمد بن واصل وهو من أجل أصـــحابه وأثبتهم له ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدى •

مكانتـــه :

قيل عنه فى « غاية النهـــاية ، لابن الجزرى بأنه امام كامل ، له اختيار لم يخالف فيه المشهور ، ثقة عدل ••• » •

مؤلفـــاته :

صنف فى النحو كتابين ، هما : « المختصر » و « الحدود » ، وهى على غرار « حدود الفراء » وان كان لا يرغب الناس فيها ، اذ لا طائل تحتهـــا •

وصنف فى القراءات ــ أيضا ــ كتابا كبيرا ــ لم أقف على اسمه ــ روى فيه عن جمع من الصحابة والتابعين •

قال صاحب كشف الظنون « حاجى خليفة » : « وصنف الأئمـــة المتقدمون فى اعراب حروف القرآن وشاذه ومعانيه وأسندوها حرفا حرفا الى الصحابة والتابعين كعباس بن الفضل وابن سعدان وأبى الربيـــع الزهرانى ••• وغيرهم » اه •

وفـــاته :

قال ابن عرفة : « مات يوم عيد الأضـــحى سنة احـــدى وثلاثين ومائتين ، وكان ذلك فى خلافة الواثق بن المعتصم ، وله ولد يقـــال له ابراهيم من أهل العلم »(٢) اهـ .

ولقد حاولت التنقيب عن آثاره التى تركها فلم أوفق فى الحصول على شىء منها ، بل لم أقف على مرجع ذكرها أو نقل شيئا منها ، ولو أن تراث هذا العالم وصل الينا كاملا فان الصورة — من غير شك — ستكون أقوى وأوضح .

---

(٢) انظر ترجمته فى :

انباه الرواة على انباه النحاة لأبى الحسن على بن يوسف القفطى جـ ٣ /١٤٠ تح محمد ابى الفضل ابراهيم مطبعة دار الكتب المصرية ط الأولى سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للامام السيوطى جـ ١/١١١ تح محمد أبى الفضل مطبعة عيسى الحلبى ط الأولى سنة ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م .

تاريخ بغداد للحافظ أبى بكر البغـــدادى جـ ٥/٣٢٤ مطبعة دار الكتب العلمية بيروت .

غاية النهـــاية فى طبقات القراء لابن الجزرى جـ ٢ / ١٤٣ عنى بنشره برجستراسر مطبعة دار الكتب العلميـــة بيروت ط الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

الفهرست لابن النديم (محمد بن يعقوب المعروف بالوراق) ص ٨٧ تح رضا .

كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة مجلد ٢ ص ١٤٤٩ مطبعة دار الفكر سنة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ١٨ ص ٢٠١ مطبعة دار المأمون — الطبعة الأخيرة .

ولقد كان لآرائه التى سجلتها أمهات كتب النحو واللغة الأثر الكبير فى ابراز شخصيته النحوية والصرفية •

وفى هذا المقال أكشف النقاب عن أفكار هذا العالم وآرائه النحوية والصرفية ، وذلك من خلال عرض آراء النحاة فى المسألة الواحدة حتى يمكن الموازنة ثم الحكم فى اطار صورة متكاملة للمسائل التى تكون قيد البحث ، مرجحا منها ما أراه قويا مع التأييد بالدليل ما أمكن •

وجملة آرائه التى حصلت عليها — مع قلتها — تتسم بكثير من الجرأة الغريبة والمخالفة الواضحة — فى أغلبها — لنحاة المدرستين البصرية والكوفية •

كما أن توجيهاته فيها مقبولة ، وأقيسته مدعومة بالدليل والبرهان ، فهو بهذا يسير فى المسلك الذى انتهجه نحاة مدرسته (مدرسة الكوفة) من استخدام القياس استخداما لا يغير من روح النصوص المنقولة ، والبعد عن السير فى طريق التأويلات البعيدة والتوجيهات المتكلفة ، وكذا الاغراق فى العلل الفلسفية وان جانبه الصواب فى بعضها كما يتضح لنا عند عرض آرائه ومناقشتها •••

أولا ــ آراؤه النحوية

١ ــ باب النــداء :

ــ نداء الاسم المحلى بالألف واللام :

ذهب الكوفيون[١] الى أنه يجوز نداء ما فيه الألف واللام ، نحو « يا الرجل » بدليلين :

الأول : مجيء ذلك فى كلام العرب ، قال الشاعر :

فيــا الغــلامان اللــذان فــرا
اياكمــا أن تكســبانا شرا[٢]

وهذا لا ضرورة فيه ، لتمكن قائله من أن يقول :

فيــا غــلامان اللــذان فــرا
. . . . . [٣]

الثانى : قولهم : « يا الله » ــ باثبات الألفين ــ فى الدعاء فيقاس عليه « يا الرجل » بجامع أن كلا منهما فيــه « أل » وليست من أصل الكلمة[٤] .

---

(١) انظر : الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ٣٣٥/١ مســألة رقم « ٤٦ » مطبعة دار الفكر ط الأولى .

(٢) من الرجز المشطور لم اهتد لقــائله ، انظر : المقتضب ٢٤٣/٤ وابن يعيش ٩/٢ وشرح الجمل لابن عصفور ٩/٢ وشرح التسهيل للمرادى ج ٢٣/٤ رسالة : اياكما : تحذير ، وقوله « أن تكسبانا » على تقدير فيه أى من كسبكما ايانا ويروى : اياكما أن تكتمانى سرا أى أمر خفى .

(٣) انظر : شرح التسهيل لابن مالك تح ١١٠٧/٣ رســالة دكتوراه اعداد محمد على ابراهيم « فى مكتبة اللغة العربية بأسيوط » .

(٤) شرح التصريح ١٧٣/٢ .

وذهب البصريون[٥] الى أنه لا يجوز ، وأجابوا عن الدليل الأول بالشذوذ وعن الثانى بالفرق ، لكثرة الاستعمال[٦] ، وقد احتجوا بأمرين :

أحدهما : أن الألف واللام للتعريف ، و « يا » مع القصد الى المنادى تخصه وتعينه ، ولا تجتمع أداتا تعريف ، لأن احداهما كاف .

الثانى : أن اللام لتعريف المعهود ، وهو معنى الغيبة ، والمنادى مخاطب فهما مختلفان فى المعنى ، فلم يجمع بينهما لتنافى التعريفين[٧] .

وهذا الحكم ليس على سبيل الاطلاق فقد استثنوا صورا ثلاثا ، هى :

١ — اسم الله — تعالى — بالاجماع :

قال سيبويه[٨] : « واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادى اسما فيه الألف واللام البتة الا أنهم قالوا : « يا أللهم اغفر لنا » ، وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه ، وكثر فى كلامهم فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التى من نفس الحروف ... » اهـ .

٢ — الجمل المحكية المبدوءة بالألف واللام :

نص على ذلك سيبويه[٩] نحو : « يا المنطلق زيد » فيمن سمى بذلك .

---

(٥) انظر الكتاب ١٩٥/٢ « تح هارون » والانصاف ٣٣٥/١ .

(٦) شرح التصريح ١٧٣/٢ .

(٧) انظر : اللباب فى علل البناء والاعراب لأبى البقاء العكبرى مح ١٧٠/٢ رسالة دكتوراه اعداد خليل بنيان الحسون « فى مكتبة جامعة القاهرة — كلية الآداب » وشرح المفصل لابن يعيش ٩٦٨/٢ .

(٨) الكتاب ١٩٥/٢ .

(٩) لأنه بمنزلة « تأبط شرا » ... (شرح التصريح ١٧٢/٢) .

٣ ــ الضرورة الشعرية كقول الشاعر :

فيــا الغــلامان اللــذان فــرا

. . . . . .

وقد زاد عليها ابن سعدان الكوفى[١٠] ووافقه ابن مالك[١١] اسـم الجنس المشبه به ، ومثاله « يا الأسد شدة أقبل » و « يا الخليفة هيبة تقدم » ونحوهما ، وهو قياس صحيح ، لأنه على تقدير : يا مثل الأسد ، ويا مثل الخليفة أى : فالمنادى فى الحقيقة لم تدخل عليه « أل »[١٢] .

وقد نظر فى هذه الزيادة الامام الشاطبى[١٣] بأن هذا التقدير غير مزيل قبح الجمع بين حرف النداء « يا » والألف واللام ، والا لجاز نحو « يا القرية » لأن تقديره : يا أهل القرية ، وهما (أى ابن سعدان وابن مالك) لا يقولان به فدل على عدم صحته .

وأرى أن هذا شطط من الشاطبى ــ رحمة الله عليه ــ لأمرين :

الأول : أن قولهم : « قضية ولا أبا حسن لها »[١٤] يشـهد له ، فان تقديره : ولا مثل أبى حسن لها ، فلولا أن تقدير « مثل » مزيل لقبح

---

(١٠) انظر : المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ٢/٥٠٢،٥٠٣ تحقيق وتعليق د/محمد كامل بركات ط دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٢ هـ الطبعة الاولى وشرح التصريح ٢/١٧٣ .

(١١) انظر : التسهيل ص ١٨١ .

(١٢) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣٤/١١٠٧ رسالة .

(١٣) انظر : شرح التصريح ٢/١٧٣ .

(١٤) هو من كلام سيدنا عمر فى حق على ــ رضى الله عنهما ــ ثم صار مثلا للامر المتعسر « حاشـية الخضرى على ابن عقيل ١/١٤١ » وليس فى كتب الأمثال .

دخول « لا » على المعرفة لما كان لهذا التقدير وجه ، وللزم عمل « لا » فى المعارف وهو غير جائز عند الأكثرين .

الثانى : أن فى اجازتهما دخول حرف النداء على اسم الجنس المشبه به لا يدعوهما الى القول بجواز « يا القرية » على تقدير : يا أهل القرية ، أو حمله عليه قياسا ، لأن ذكر وجه الشبه فى الأول « يا الأسد شدة أقبل » ونحوه دل على معنى المثلية وصير اللفظ فى قوة : يا مثل الأسد ، بخلاف هذا(١٥) .

فالأولى — اذا — ألا يقترن هذا بذاك ولا يقاس عليه للفارق بينهما وبهذا يتضح لنا أن ما زاده ابن سعدان ووافقه عليه ابن مالك مقبول فى نظرى ، وله وجهته الخاصة به .

— المنادى الموصوف بلفظ « ابن » :

اذا كان « ابن » صفة للمنادى العلم ومضافا الى علم ولم يفصل بينه وبين منعوته بفاصل مثل « يا زيد بن عمرو » وقول الشاعر :

يا حكم بن المنذر بن الجارود
سرادق المجد عليك ممدود(١٦)

جاز لك فى الاسم المنادى وجهان :

أحدهما : البناء على الضم ، وذلك على الأصل .

---

(١٥) انظر شرح التصريح ١٧٣/٢ وحاشية الخضرى ٧٥/٢ وحاشية الصبان ١٤٦/٣ .

(١٦) من الرجز ينسب الى رجل من بنى الحرماز كما فى الكتاب ٢٠٣/٢ والى رؤبة وقد رده العينى فى المقاصد ٢١٠/٤ وانظره فى : المقتضب ٢٣٢/٤ والأصول لابن السراج ٣٤٥/١ وابن يعيش ٥/٢ .

سرادق المجد : أى العز والعظمة ، والسرادق ما يمد فوق صحن الدار ، وهو بضم السين ويسمى بالفارسية : سرا بردة .

الثانى : البناء على الفتح ، وهو اختيار البصريين[١٧] ، أو هو الكثير فى كلام العرب كما قال ابن كيسان[١٨] ، وذلك على ثلاثة أوجه :

١ ــ الاتباع ، أى : اتباع فتحة آخر المنادى لفتحة « ابن » ، لكون الحاجز بينهما ساكنا غير حصين ، وعليه اقتصر ابن مالك[١٩] .

٢ ــ التركيب ، أى : تركيب الصفة مع الموصوف وجعلهما شيئا واحدا كخمسة عشر ، وعليه اقتصر عبد القاهر الجرجانى[٢٠] .

٣ ــ الاقحام ، أى : اقحام لفظ « ابن » واضافة الأول الى الثانى، لأن ابن الشخص يجوز اضافته اليه لملابسته له ، وقد حكاه صاحب « البسيط »[٢١] .

هذان الوجهان المذكوران جائزان فيما توفرت فيه الشروط السابقة، أما اذا فقد شرط منها امتنع الوجهان ، فيجب الضم فى نحو « يا رجل ابن زيد » ، لانتفاء علمية المنادى ، وفى « يا زيد الفاضل ابن عمرو » ، لانتفاء اتصال « ابن » بالعلم ، وفى « يا زيد الفاضل » ، لكونه موصوفا بغير « ابن » ، وفى « يا زيد ابن أخينا » ، لكونه مضافا الى غير علم ، وكذا اذا أعرب « ابن » بدلا أو عطف بيان ...

ويجب النصب فى نحو « يا عبد الله بن زيد » ، لكون المنادى مضافا .

هذه الأحكام الصادرة على الاسم المنادى الموصوف بلفظ « ابن » ــ بصوره المختلفة ــ محل وفاق بين النحاة ، يستثنى من ذلك فيما اذا كان

---

(١٧) ، (١٨) انظر : المغنى ١/١٦٣ والهمع ١/١٧٦ .

(١٩) انظر : التسهيل ص ١٨٠ .

(٢٠) انظر : المقتصد فى شرح الايضاح مح ٢/٧٨٥ .

(٢١) انظر : شرح التصريح ٢/١٦٩ .

« ابن » صفة بين متفقى اللفظ غير علمية — فقد ذكروا فيه خلافا — وله أمثلة كثيرة جدا ، منها :

« يا كريم بن كريم » و « يا فاضل بن فاضل » .

و « يا وثن بن وثن » و « يا ضل بن[٢٢] ضل » .

بيان الخلاف[٢٣] :

— مذهب البصريين وجوب البناء على الضم .

— مذهب الكوفيين وابن كيسان جواز الوجهين كحال العلمين اذا كان بينهما « ابن » صفة . بمعنى أنهم يجرونه مجرى «يا زيد بن عمرو» فى جواز الوجهين السابقين .

ومن ذلك ما أنشده الفراء :

يا غنم بـــن غنم محبوســـة
فيهـــا ثغـــاء ونعيق وحبـــق[٢٤]

وقد خالف النحاة فى ذلك ابن سعدان وألزم فتح المنادى فى الأمثلة السابقة حيث قال[٢٥] : « كلام العرب فى نحو « يا ضـــل بن ضـــل » و « يا فاضل بن فاضل » وما أشبههم من المدح أن يتبع بالفتح » اه .

---

(٢٢) بضم الضـــاد المعجمة — علم جنس لمن لا يعـــرف هو ولا أبوه « الصبان على الأشمونى ١٤٣/٣ » وقيـــل المنهمك فى الضلال ، وقيل الذى لا خير فيه « اللسان مادة ضل » .

(٢٣) انظر : الارتشاف ١٢٣/٣ والهمع ١٧٦/١ .

(٢٤) لم اهتـــد لقائله وانظره فى : المقرب لابن عصفـــور ص ١٧٩ والارتشاف ١٢٣/٣ ، والثغاء صوت الشـــاء أو المعز ، والنعيق : الصياح بالشـــاء أو المعز وزجرها ، والحبق : الضراط وأكثره ما يستعمل فى الابل والغنم وقد يستعمل فى الناس لسان العرب « حبق » .

(٢٥) انظر : شرح التسهيل لابن مالك مح ١١٠١/٣ رسالة .

وليس مقصود كلامه تبعيه الثانى « ابن » للأول كما يتوهم ، بل المراد اتباع آخر المنادى لفتحة « ابن » مطلقا • وقد علل ذلك بقوله :

« وسبب هذا الفتح كثرة الاستعمال فجاز فى « يا زيد بن عمرو » وامتنع فى « يا زيد ابن أخينا » ولزم فى نحـــو « يا فاضل بن فاضل » جعلوا الصفة والموصوف كالشىء الواحـــد فيما كثر استعماله ، فأتبعوا الأول الثانى كما فعلوا فى « امرىء »[٢٦] •

توضيح وتفسير :

أى انهم لما فتحوا نون « ابن » من حيث كان مضـــافا فتحوا — أيضا — آخر المنادى لأنهم لما أضافوا ابنا كأنهم أضافوا ما قبله ، ولشدة انعقادهما شبه سيبويه[٢٧] حركة الحرف الأخير من المنادى بحركة الراء من « امرىء » وحركة النون من « ابنم » فكما أن الراء من « امرىء » تابعة للهمزة والنون من « ابنم » تابعة للميم ، كذلك اتبعوا آخر المنادى النون من لفظ « ابن » ، لأن الصفة والموصوف كالصلة والموصـــول ، يضاف الى ذلك كثرة الاستعمال فقوى الربط والاتحاد بينهما ومن ثم لا يحسن الوقوف على الاسم الأول ويبتدأ بالثانى فيقال : ابن فاضل ، وهكذا •

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن فى المسألة ثلاثة مذاهب :

١ — مذهب البصريين الزام البناء على الضم •

٢ — مذهب الكوفيين وابن كيسان جواز الوجهين : البناء على الضم وعلى الفتح •

٣ — مذهب ابن سعدان الزام البناء على الفتح •

---

(٢٦) المرجع السابق مح ٣/١١٠١ •

(٢٧) انظر : الكتاب ٢/٢٠٣ •

والأخذ بمذهب الكوفيين وابن كيسان من هذه المذاهب الثلاثة — فى رأيى — أحرى وأجدر، وذلك لكثرة استعمال هذه المذكورات كالعلم[٢٨]، ومن ثم تأخذ حكمه فى جواز الوجهين على السواء ، كما أنه محل اختيار المتأخرين من النحاة ، فقد مال اليه واختاره ابن عصفور[٢٩] وابن مالك[٣٠] وابن هشام[٣١] وغيرهم .

ويرد على البصريين بأنه لا مانع من جواز الفتح ، لقوة علته المجوزة له ، وعلى ابن سعدان بأنه لا يمكن بحال من الأحوال اغفال البناء على الضم ، لكونه الأصل فى المنادى العلم ، والمذكورات بعد حرف النداء — فى الأمثلة السابقة — فى حكم العلم .

٢ — باب النعت :

حكم نعت معمولى عامل واحد :

اذا كان عامل النعت واحدا ومعمولاه مختلفى الاعراب ، فان اختلفا فى النسبة من جهة المعنى — أيضا — لم يجز جمعهما فى نعت واحد .

فاما أن تفرد كلا منهما بنعت خاص به مثل « لقى زيد الظريف عمرا الظريف » تجعل نعت كل بجانبه ، أو تقول : « لقى زيد عمرا الظريف الظريف » بنصب الأول على جعله نعتا للثانى ، وبرفع الثانى على جعله نعتا للأول ، لأنه اذا كان لابد من الفصل بين النعت ومنعوته ففصل أحدهما من صاحبه أولى من فصلهما معا واما أن تجمع بينهما فى نعت

---

(٢٨) انظر : الهمع ١/١٧٦ والصبان على الأشمونى ٣/١٤٣ .

(٢٩) انظر المقرب ص ١٩٧ .

(٣٠) انظر : التسهيل ص ١٨٠ .

(٣١) انظر : الجامع الصغير ص ٩٥ تحقيق وتعليق د / أحمد محمود الهرميل مطبعة دار التأليف سنة ١٤٠٠ هـ .

مقطوع ، والقطع اما بالرفع على اضمار مبتدأ أو بالنصب على اضمار فعل لائق لا يظهر الا مع نعت موضح[٣٢] .

تقول : « لقى زيد عمرا الظريفان » أو « الظريفين » على تقدير : « هما » فى الأول ، و « أعنى » فى الثانى .

وأما اذا اتحد المعمولان فى النسبة من جهة المعنى نحو « خاصم زيد عمرا الكريمان » و « ضـــارب زيد عمرا العاقلان » فالقطع — فى هذه — واجب عند البصريين حيث انهم يشترطون فى العمل أن يكون من وجه واحد .

قال سيبويه[٣٣] : « وزعم الخليل أن الجرين أو الرفعين اذا اختلفا فهما بمنزلة الجر والرفع ، وذلك قولك : هذا رجل وفى الدار آخر كريمين، وقد أتانى رجل وهذا آخر كريمين ، لأنهما لم يرتفعا من وجه واحد ... ولا يجوز أن يجرى وصفا لما انجر من وجهين كما لم يجز فيما اختلف اعرابه » اهـ .

ويجوز الاتباع عند غيرهم (أى الكوفيين) وقد اختلفوا فى كيفيته :

قيل : يتبع الأول — وهو مذهب الكســـائى والفراء[٣٤] — بمعنى أنه يغلب مراعاة جانب الفاعل ، لأنه معتمد الكلام فيرفع الوصـــف ، تقول : « ضارب زيد عمر الظريفان » بالرفع على أنه صفة لهما معا .

---

(٣٢) انظر : المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٣٣) الكتاب ٢/٥٩ .

(٣٤) انظر : شرح الجمل لابن عصفور ١/٢١٠ والارتشاف ٢/٥٩١ والمساعد ٢/٤١٥ . وقد نسب الأزهرى فى شرح التصريح ٢/١١٤ الى الفراء اتباع الأخير .

وقيل : يتبع أيهما شئت — وهو مذهب ابن سعدان[٣٥] — بمعنى أنه يغلب المرفوع تارة والمنصوب أخرى ، تقول : « ضارب زيد عمرا العاقلان » — بالرفع — تغليبا للمرفوع ، وهو « زيد » ، أو «العاقلين» — بالنصب — تغليبا للمنصوب ، وهو « عمرو » وذلك لأن كلا منهما معناه معنى المرفوع من حيث هو ضارب ، ومعناه معنى المنصوب من حيث هو مضروب[٣٦] .

يؤيد ذلك ما قاله أبو العباس ثعلب[٣٧] : « اذا كان الفعل من الاثنين جاز رفعهما ، يقال : خاصم زيد عمرو » اه .

وأصل هذا الخلاف فى هذه المسألة — أعنى مسألة القطع والاتباع — راجع الى الخلاف فى عامل النعت . فمن النحاة — كالخليل وسيبويه[٣٨] والأخفش والجرمى وأكثر المحققين — على أنه تبعية للمنعوت ، وقد صححه المغاربة .

ومنهم — كالمبرد[٣٩] وابن السراج وابن كيسان — على أنه عامل المنعوت[٤٠] .

وخلاصة القول أن البصريين لا يجوزون الجمع بين الفاعل والمفعول فى نعت واحد . فلا يقال : « ضارب زيد عمرا العاقلان » أو « العاقلين » الا على القطع وذلك باضمار « هما » فى الأول ، و « أعنى » فى الثانى .

---

(٣٥) انظر : الارتشاف والمساعد نفس الصفحات السابقة وتوضيح المقاصد للمرادى ١٤٧/٢ ، ١٤٨ والهمع ١١٩/٢ والأشمونى مع الصبان ٦٧/٣ وشرح التصريح ١١٤/٢ .

(٣٦) انظر : شرح الجمل لابن عصفور ٢١٠/١ .

(٣٧) مجالس ثعلب . القسم الثانى ص ٤١٧

(٣٨) انظر : الكتاب ٥٩/٢ .

(٣٩) انظر : المقتضب ٣١٥/٤ .

(٤٠) انظر : المساعد ٤١٥/٢ .

وقد جوز ذلك الكسائى والفراء من الكوفيين على الاتباع مع اختيار الرفع وقد سبق التمثيل له ، وكذا ابن سعدان لكن مع التسوية بين الأمرين : الرفع والنصب تقول : « ضارب زيد عمرا العاقلان » بالرفع ، وان شئت قلت : « العاقلين » بالنصب ، وذلك من جهة أن الفعل «ضارب» واقع منهما وعليهما ، فكل منهما ضارب ومضروب .

والصحيح من ذلك ما ذهب اليه البصريون بدليل أنه لا يجوز « ضارب زيد هندا العاقلة » برفع « العاقلة » على أن تكون نعتا لـ « هند » على المعنى باتفاق بين البصريين والكوفيين ، فكما لا يجوز فى نعت الاسم — اذا أفرد — الحمل على المعنى ، فكذلك لا يجوز اذا ضممته الى غيره(٤١) .

٣ — باب عطف النسق :

— العطف بـ « لا » :

من أوجه « لا » أن تكون عاطفة ، وهى حينئذ تشرك الثانى (المعطوف) مع الأول (المعطوف عليه) فى الحكم الاعرابى دون المعنى .

والعطف بها متفق عليه بعد الخبر المثبت ، ومثاله «هذا زيد لا عمرو» والأمر ، ومثاله « اضرب زيدا لا عمرا » ، وذلك لأنها لنفى الحكم عن مفرد بعد ايجابه للمتبوع ، ومن ثم لا يعطف بها بعد الاستفهام والتمنى والعرض والتحضيض بالاتفاق(٤٢) .

أما بعد النداء نحو « يا سالم لا سلمان » و « يا ابن أخى لا ابن

---

(٤١) انظر : شرح الجمل لابن عصفور ١/٢١٠ والارتشاف ٢/٥٩٢ .

(٤٢) انظر : شرح الكافية للرضى ٢/٣٧٨ . مطبعة دار الكتب العلمية بيروت .

عمى » فقد قال به امام النحاة « سيبويه »[٤٣] وأنكره ابن سعدان[٤٤] وزعم أن العطف بها على منادى ليس فى كلام العرب شاهد على استعماله[٤٥] .

وأرى أن هذا الرأى غير مقبول ، اذ هو شهادة على نفى بلا دليل ، والمثبت مقدم على النافى ، ولأن ما منعه مسموع من كلام العرب فمنعه مدفوع .

قال أبو حيان معقبا على رأى ابن سعدان : « ... وهذه شهادة على نفى ، والظن لسيبويه أنه لم يذكره الا وهو مسموع » اهـ[٤٦] .

ومادام أنه سمع فلا مجال للقول بانكاره ، لأن كلامهم ثقة يحتج به ...

٤ ــ باب اعراب الفعل :

فى هذا الباب حكى ابن سعدان[٤٧] نصب الفعل المضارع بـ « كما » اذا كانت بمعنى « كيما » على أن يكون هذا أصلها ، ثم حذفت اليـاء

---

(٤٣) ينظر الكتاب لسيبويه ١٨٦/٢ والنكت الحسان ص ١٢٩ ومغنى اللبيب ٢٤١/١ ، ٢٤٢ .

(٤٤) انظر : الارتشاف ٦٤٥/٢ . والنكت الحسان لأبى حيان ص ١٢٩ والهمع ١٣٧/٢ وشرح التصريح ١٤٩/٢ والأشمونى مع الصبان ١١١/٣ .

(٤٥) انظر : شفاء العليل فى ايضاح التسهيل لأبى عبد الله محمد بن عيسى السلسيلى ٧٩٢/٢ تحقيق د / الشريف عبد الله على البركاتى .

(٤٦) انظر : الهمع ١٣٧/٢ .

(٤٧) انظر : خزانة الأدب للبغدادى ٥٠١/٨ تحقيق عبد السلام هارون ط الهيئة العامة سنة ١٩٧٩ م .

تخفيفا تقول : « أكرمتك كما تكرمنى » بنصب الفعل « تكرم » بالفتحة الظاهرة اذ الأصل فيه « كيما تكرمنى » .

وهـذا مذهب الكوفيين وأبى الحسـن الأخفش ، واسـتحسنه أبو العباس المبرد من البصريين(٤٨) ، وقد أنشدوا على ذلك أبياتا منها :

١ ــ قول صخر الغى :

جـاءت كبـير كمـا أخفـرها

والقوم صـيد كأنهم رمدوا(٤٩)

أراد : كيما أخفرها ، ولهذا المعنى انتصب الفعل .

٢ ــ قول عمر بن أبى ربيعة :

وطرفـك امـا جئتنـا فاصرفنـه

كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر(٥٠)

---

(٤٨) انظر : الانصاف ٢/٥٨٥ والارتشاف ٢/٣٩٥ .

(٤٩) من بحر المنسرح قاله صخر الغى (ديوان الهذليين ٢/٦١) وفيه « كيما » ... و « كأنما » وانظر : الانصاف ٢/٥٨٥ وشرح أبيـات المغنى للبغدادى ٤/١٢٠ .

وكان صخر قد قتل جارا لبنى خناعة من بنى سعد بن هذيل من بنى الدمداء من مزينة فخرجن أبو المثلم قومه ليطلبوا بدم المزنى فبلغ ذلك صخرا فقال قصيدته التى منها هذا البيت ومعنى أخفرها : أمنعها واجيرها وةؤمنها ، والصيد بصاد مكسورة جمع أصيد وصف من الصيد بفتح الصاد والياء وهو داء يأخذ الابل فى رؤسها فترفع رؤسها وتسمو بها ، والشاهد فى (كمـا اخفرها) .

(٥٠) من بحر الطويل قاله عمر وهو من قصيدته المشهورة بديوانه ص ١٠١ :

=

أراد : كيما يحسبوا .

٣ ــ قول رؤبة بن العجاج :

لا تظلموا الناس كما لا تظلموا[٥١]

أراد : كيما لا تظلموا .

وقد اختلفت نظرة النحاة فى توجيه النصب بـ « كما » ــ فى هذه الأبيات ــ على النحو التالى :

ــ الفارسى[٥٢] يزعم أن أصلها « كيما » فحذفت الياء تخفيفا .

ــ ابن مالك[٥٣] يذهب الى أن الكاف المكفوفة بـ « ما » دخلها معنى التعليل فنصبت ، لشبهها بـ « كى » ، وقد رد زعم الفارسى بقوله : « وهذا تكلف لا دليل عليه ولا حاجة اليه »[٥٤] اهـ .

وأقول : ان ادعاء التكلف غير ظاهر ، وقول الفارسى أدق ، لأن كون الكاف ناصبة لشبهها بـ « كى » بعيد ، ومما يبعده أن الكاف من عوامل الأسماء فكيف تكون من عوامل الأفعال ؟

والأظهر من هذا وذاك أن يقال : ان الكاف تعليلية و « ما » مصدرية

(أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر)

انظر : الجنى الدانى ص ٤٨٣ والمغنى ١/١٧٧ والأشمونى مع الصبان ٣/٣٨١ وقد نسبه العينى فى المقاصد النحوية ٤/٤٠٧ للبيد ، وهو خطأ .

(٥١) من الرجز المشطور . انظر : مجموع أشعار العرب القسم الثالث ص ١٨٣ .

(٥٢) انظر : الجنى الدانى ص ٤٨٥ .

(٥٣) شرح التسهيل مح ٢/٨٣٥ رسالة .

(٥٤) المرجع نفسه مح ٢/٨٣٥ رسالة .

كما فى قوله — تعالى — : « واذكروه كما هداكم »[٥٥] ، والفعل بعدها مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه النون المحذوفة تخفيفا كما فى قوله — عليه السلام :

« والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا »[٥٦] والأصل : لا تدخلون ولا تؤمنون ...

وقول الشاعر :

أبيت أسرى وتبيتى تدلكى
وجهك بالعنبر والمسك الذكى[٥٧]

والأصل : تبيتين وتدلكين ...

فحذفت النون منهما بغير ناصب ولا جازم . ومعنى هذا أنه ليس لكما عمل فيه ، وهذا مذهب نحاة البصرة وان اختلفت وجهتهم فى ذلك .

قال سيبويه[٥٨] : « سألت الخليل عن قول العرب : انتظرنى كما آتيك . وارقبنى كما ألحقك ، فزعم أن « ما » والكاف جعلتا بمنزلة حرف واحد وصيرت للفعل كما صيرت « ربما » للفعل ، والمعنى : لعلى آتيك ، فمن ثم لم ينصبوا به الفعل كما لم ينصبوا بـ « ربما » اهـ .

---

(٥٥) من الآية ١٩٨ بسورة البقرة .

(٥٦) الحديث رواه الترمذى فى سننه جـ ٤/٦٦٤ برقم ٢٥١٠ « كتاب صفة القيامة » وكذا ابو داود فى سننه جـ ٢/٦٩٥ « كتاب الأدب — باب افشاء السلام » .

(٥٧) من بحر الرجز ، لم اهتد لقائله . انظر : الخصائص ١/٣٨٨ والانشاف ١/٤٢١ والهمع ١/٥١ وشرح التصريح ١/١١١ وحاشية الشيخ يس على التصريح ١/٨٦ وفيها « شعرك » .

(٥٨) الكتاب ٣/١١٦ .

وقد أولوا الأبيات التى استدل بها الكوفيون والأخفش ، فقالوا[٥٩] — فى البيت الأول — انه روى بالرفع « كما أخفرها » وقد اختار هذه الرواية الفراء من الكوفيين ، وفى الثانى : ان روايته « لكى يحسبوا » فلا يكون لهم حجة فيه .

وفى الثالث : ان روايته بالتوحيد :

لا تظلم الناس كما لا تظلم

كالرواية الأخرى :

لا تشتم الناس كما لا تشتم[٦٠]

برفع آخر الفعل ، اذ القوافى كلها مرفوعة .

أو تخرج هذه الأبيات على أن الناصب لها — على فرض صحة الرواية — هو « ما » المصدرية ، حملا لها على أختها « أن » ، كما أن « أن » تهمل حملا عليها وهذا ما يعرف بالتقارض فى اللغة[٦١] .

أو أنها لم تخرج عن حد الشذوذ والقلة فلا يكون فيها حجة[٦٢] .

ومن هذا العرض نتبين أن ما حكاه ابن سعدان عن الكوفيين من نصب الفعل المضارع بعد « كما » على أن أصلها « كيما » مذهب ضعيف ودليله محتمل ، والدليل متى تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال

---

(٥٩) انظر : الانصاف ٢/٥٩٠ ، ٥٩١ .

(٦٠) من الرجز المشطور وينسب لرؤبة ، وهو بنفس الرواية فى الأشمونى مع الصبان ٣/٢٨٢ . والمعنى : لعلك لا تشتم .

(٦١) التقارض من القرض (السلف) والكلام على طريق الاستعارة التصريحية حيث شبه تلبس أحد اللفظين بحكم الآخر بتسلف كل من الشخصين شيئا من صاحبه . (حاشية الدسوقى على المغنى ٢/٣١٧) .

(٦٢) انظر : الانصاف ٢/٥٩٢ .

فلا يصلح أن يكون حجة ؟ فمذهب البصريين — فى نظرى — هو الأقوى والمعتمد فلا يلجأ لغيره الا فى الضرورة .

٥ — باب الحروف :

— القول فى « رب » معناها ودلالتها :

اختلف النحاة المتقدمون والمتأخرون فى معناها ودلالتها على النحو التالى :

١ — أنها للتقليل دائما ، وهو قول الأكثرين ، واختاره المرادى[٦٣] .

٢ — أنها للتكثير دائما ، وعليه صاحب العين وابن درستويه وجماعة[٦٤] ، وبه قال الزمخشرى من المتأخرين[٦٥] ، ونسبه ابن خروف لسيبويه[٦٦] .

٣ — أنها للتقليل والتكثير فهى من الأضداد ، وبه قال أبو النصر الفارابى فى كتابه « الحروف »[٦٧] .

٤ — أنها حرف اثبات لم توضع لتقليل ولا تكثير ، بل ذلك مستفاد من سياق الكلام ، واختاره أبو حيان[٦٨] .

٥ — أنها للتكثير فى موضع المباهاة والافتخار ، وللتقليل فيما عدا ذلك ، وهو قول الأعلم وابن السيد البطليوس[٦٩] .

---

(٦٣) انظر : الجنى الدانى ص ٤٤٠ .

(٦٤) انظر : تاج العروس للزبيدى ١/٢٦٥ .

(٦٥) كما زعم بعضهم .

(٦٦) انظر : الارتشاف ٢/٤٥٥ .

(٦٧) انظر : المسائل والأجوبة لابن السيد البطليوس ص ٢٠٩ رسالة دكتوراه اعداد محمد سعيد الحافظ (فى مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة) .

(٦٨) انظر : الارتشاف ٢/٤٤٥ .

(٦٩) انظر : المسائل والأجوبة ص ٢٣٥ والهمع ٢/٢٥ .

٦ ــ أنها أكثر ما تكون للتكثير ، وهو اختيار ابن مالك[٧٠] وابن هشام[٧١] . وقد استظهره ناظر الجيش[٧٢] .

٧ ــ العكس أنها أكثر ما تكون للتقليل ، واختاره السيوطى[٧٣] .

٨ ــ أنها لمبهم العدد ، تكون تقليلا وتكثيرا ، قاله ابن الباذش وابن طاهر[٧٤] .

هذه ثمانية آراء فى معناها ودلالتها أثبتها أبو حيان فى كتابه «التذييل والتكميل»[٧٥] ونص على بعضها المرادى فى «الجنى الدانى»[٧٦] وابن هشام فى « مغنى اللبيب »[٧٧] والسيوطى فى « همع الهوامع »[٧٨] وغيرهم .

وابن سعدان يقول بمذهب الجمهور من هذه المذاهب ، فقد ذهب الى أنها تفيد التقليل دائما[٧٩] ، ولكل من المذاهب المذكورة مستنده

---

(٧٠) انظر : التسهيل ص ١٤٧ وشواهد التوضيح ص ١٠٤ .

(٧١) انظر : مغنى اللبيب ١٣٤/١ .

(٧٢) انظر : تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش جـ ٤ مج ٢٦١/١ رسالة .

(٧٣) انظر : الهمع ٢٥/٢ .

(٧٤) انظر : المرجع السابق ٢٥/٢ .

(٧٥) جـ ٤ مج ١١٩٧/٣ ، ١١٩٨ رسالة .

(٧٦) ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٧٧) ١٣٤/١ .

(٧٨) ٢٥/٢ .

(٧٩) انظر : المسائل والأجوبة ص ٢٠٨ والتذييل والتكميل حـ ٤ مج ١١٩٨/٣ .

الخاص ودليله القوى الذى لا يمكن رده ، ولكنى أرجح ما ذهب اليه ابن سعدان لما يلى :

أولا : أن التقليل هو معناها الأصلى الذى وضعت له أولا وحقيقة ، وهذا ما أثبته بعض المحققين من النحاة كالامام عبد القاهر الجرجانى بقوله : « ... كما أن أصل «رب» للتقليل ثم غلب عليها التكثير»[٨٠] اهـ .

والامام الرضى بقوله : « هذا الذى ذكرنا من التقليل أصلها ثم تستعمل فى معنى التكثير حتى صارت فى معنى التكثير كالحقيقة ، وفى التقليل كالمجاز المحتاج الى القرينة »[٨١] اهـ .

وقولهما يشير الى أنها قد تقع موقع نقيضتها « كم » ، وهو دلالتها على التكثير كـ « كم » مع حفظها للأصل الذى وضعت عليه أولا وهو التقليل ، وهذه هى سبيل المجاز لأنه عارض يعرض للشىء فيستعار فى غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التى وضع عليها .

وهناك أشياء كثيرة من هذا القبيل كالمدح والذم مثلا فانهما قد وضعا على التناقض فى أصل وضعهما ثم يعرض لهما المجاز باستعمال أحدهما مكان الآخر وفى موضعه على سبيل التهكم والسخرية ، ومثل النفى والايجاب ، والواجب والممكن ، والمذكر والمؤنث وغيرها من الأشياء التى يقع بعضها موقع بعض — على سبيل المجاز — ولا يبطل ذلك أصل الوضع وحقيقته ، فكذا وقوع « رب » موقع « كم » ، ووقوع « كم » موقع « رب » — أيضا — لا يبطل أصل وضعهما ، وهو التقليل فى «رب» والتكثير فى « كم » .

---

(٨٠) المقتصد فى شرح الايضاح ٢/٨٣٠ .

(٨١) شرح الكافية ٢/٣٣٠ .

ثانيا : أنه هو المعنى المطرد فيها ، لأنها قد كثر استعمالها فى مواضع لا يسوغ فيها التكثير • ومن ذلك قول العرب — اذا مدحوا الرجل — « ربه رجلا » وهو شبيه بقولهم : « لله دره رجلا » ، وهذه مسألة اتفق عليها البصريون والكوفيون قاطبة ، ونص عليها سيبويه فى كتابه(٨٢) وهذا تقليل محض لا يتوهم فيه كثرة ، لأن الرجل لا يمدح بكثرة النظراء والأشباه ، وانما يمدح بقلة النظير أو عدمه بالجملة ، ولذا قالوا فى التعجب : انه ما خفى سببه وخرج عن نظائره ، فهم يريدون بقولهم : « ربه رجلا » : انه قليل غريب فى الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أقله فى الرجال وما أشده فيهم !

ويدل على ذلك تصريحهم فى المدح بلفظ القلة فى نحو قولهم : « قل من يقول هذا » ، و « قل من يعلم ذلك الا زيد » ونحو ذلك(٨٣) •

ومما تأتى فيه « رب » للتقليل اتيانا مطردا الأشعار التى فى الألغاز والأشعار التى يصف بها الشعراء أشياء مخصوصة بأعيانها ، فانهم كثيرا ما يستعملون فى أوائلها « رب » مصرحا بها ، أو الواو التى تنوب منابها(٨٤) •

أمثلة توضح افادتها التقليل :

— قول أبى طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٨٥)

---

(٨٢) انظر : الكتاب ١٧٤/٢ .

(٨٣) انظر : المسائل والأجوبة ص ٢١٦ رسالة .

(٨٤) انظر : المرجع السابق ص ٢٢٩ .

(٨٥) من بحر الطويل ، نسب فى مقامات الحريرى ص ١٢٠ مطبعة الحسينية للعباس ، وكلاهما وارد . انظر البيت فى : الروض الأنف للسهيلى ٢٨/٢ والمزهر للسيوطى ١٧٩/١ صدره والخزانة ٦٧/٢ .

ـ قول الآخر :

ألا رب مولـــود وليس له أب
وذى ولد لم يلـــده أبوان[٨٦]

وقولك : « رب رجل لقيته » ، أى : ذلك قليل •

ثالثا : أن المواضـــع التى جاءت فيهـــا « رب » وظاهرها التكثير وجدناها محتملة لأصلها « التقليل » بضرب من التأويل •

من ذلك قول امرىء القيس :

فيـــارب يوم قد لهوت وليـــلة
بآنســـة كأنها خط تمثال[٨٧]

فانه مسوق للافتخار الذى يناسبه التكثير ، وهـــو محتمل للتقليل على التأويل بتقليل النظير •

رابعا : أنها لم تفد التكثير الا وهى مقرونة بـ « ما » كما فى الآية الكريمة : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين »[٨٨] ، أى : تكثر ودادتهم الاسلام لما يشاهدونه من كرامة المسلمين ونجاتهم مما تلبس به الكفار من العذاب •

---

(٨٦) من بحر الطويل نسبه سيبويه ٢٦٦/٢ لرجـــل من ازد السراة والبيت فى : ابن يعيش ٤٨/٤ ، ١٢٦/٩ وشرح التصريح ١٨/٢ والأشمونى مع الصبان ٢٣٠/٢ .

(٨٧) من بحر الطويل ، وهو فى ديوانه برواية « ريارب يوم » ص ١٤٠ وانظره فى : شرح الجمل لابن عصفور ٥٠٠/١ والهمع ٢٦/٢ والخزانة ٦٤/١ وفيها « بلى رب يوم » .

(٨٨) سورة الحجر الآية رقم ٢ .

وقول أهل التقليل : انما قلل لأن أهوال يوم القيامة تشغلهم عن كثرة التمنى خلاف الظاهر[٨٩] .

وقول الشاعر :

ربمـــا أوفيت فى عـــلم
ترفعن ثوبى شمالات[٩٠]

وتوجيه الاستدلال بالآية والبيت على افادة التكثير أن الآية مسوقة للتخويف والتحذير والبيت مسوق للافتخار ، ولا يناسب واحـــدا منهما التقليل[٩١] .

خامسا : أن هذا القول جرى عليه أكثر النحاة مع اختلاف مذاهبهم، فكبراء النحويين البصريين ومشاهيرهم مجمعون على أنها للتقليل وأنهـــا ضد « كم » فى التكثير كالخليل وسيبويه وعيسى بن عمر ويونس وأبى زيد الأنصارى وأبى عمرو ابن العلاء والأخفش والمازنى وأبى عمرو الجرمى وأبى العباس المبرد وأبى بكر بن السراج وأبى اسحاق الزجاج وأبى على الفارسى وأبى الحسين الرمانى والسيرافى وابن جنى ، وكذا جلة الكوفيين كالكسائى والفراء ومعاذ الهراء وهشام الضرير[٩٢] .

---

(٨٩) انظر : شرح مغنى اللبيب للبدر الدمامينى مح ٢/٦٩١ رســـالة دكتوراة بتحقيقنا (فى مكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط) .

(٩٠) من بحر المديد قاله الوضاح (ملك الحيرة) وقيل تأبط شرا ، وهو غلط كما قال العينى فى المقاصد ٣/٣٤٤ ، ٤/٣٢٨ وانظره فى : الكتاب ٣/٥١٨ والمقتضب ٣/١٥ والهمع ٢/٣٨ واللسان مادة « شمل » .

(٩١) انظر : شرح مغنى اللبيب للبدر الدمامينى مح ٢/٦٩٣ رسالة .

(٩٢) انظر : المسائل والأجوبة ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ والتذييـــل حـ ٤ مح ٣/١١٩٧ ، ١١٩٨ والهمع ٢/٢٥ .

وقد قرره الاربلى ورجحه بقوله : « وهو الصحيح »[٩٣] اهـ واختاره ابن أم قاسم المرادى كما ذكرت سابقا •

ـ القول فى « كلا » معناها :

يرى ابن سعدان[٩٤] أن « كلا » ترد حرفا بمنزلة « سوف » فيكون معناها : التنفيس والتأخير كما هو معنى « سوف » ، قال سيبويه[٩٥] : « وأما « سوف » فتنفيس فيما لم يكن بعد ، ألا تراه يقول : سوفته » اهـ •

ومجىء « كلا » بمعنى « سوف » مذهب الفراء وأبى عبد الرحمن اليزيدى[٩٦] •

ويرى الأكثرون[٩٧] أنها حرف ردع وزجر •

قال سيبويه[٩٨] : « وأما « كلا » فردع وزجر » اهـ وذلك كما تقول لشخص : فلان يبغضك ، فيقول : كلا ، ردعا لك ، أى : ليس الأمر كما تقول[٩٩] •

---

(٩٣) جواهر الأدب فى معرفة كلام العرب ص ١٥٤ .

(٩٤) حكاه عنه أبو حيان فى « تذكرة النحاة » انظر : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/٢٢٢ .

(٩٥) الكتاب ٤/٢٣٣ .

(٩٦) انظر : النكت الحسان ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٩٧) الخليل وسيبويه وعامة البصريين . انظر : الجنى الدانى ص ٥٧٧ .

(٩٨) الكتاب ٤/٢٣٥ .

(٩٩) انظر : اسرار النحو لابن كمال باشا ص ٣١٠ ، ٣١١ .

ويرى الكسائى وتلميذه « نصر بن يوسف » ومحمد بن أحمد بن واصل أنها بمعنى « حقا »[١٠٠] ، وذلك كما فى قول الشاعر :

أليس قليـــلا نظرة ان نظرتها
اليك ، وكلا ليس منك قليل[١٠١]

وقد ضعف بكسر همزة « ان » بعدها كما فى قوله تعالى : « كلا انها كلمة هو قائلها »[١٠٢] ونحوه ، فهى تحقيق لما بعدها من الاخبار .

ويرى النضر بن شميل[١٠٣] أنها بمعنى « نعم » فهى تساوى «اى» معنى واستعمالا وعليه حمل قوله — تعالى : « كلا والقمر »[*] ، فقال : والمراد — والله أعلم — اى والقمر .

ويرى أبو حاتم السجستانى أنها بمعنى « ألا » للاســتفتاح ، ووافقه الزجاج وغيره[١٠٤] .

ويرى عبد الله بن محمد الباهلى[١٠٥] أنها تكون على وجهين :

أحدهما : أن تكون ردا لكلام قبلها .

الثانى : ان تكون صلة لكلام فتكون بمعنى « اى » .

هذه هى جملة الآراء فى معناها ، وما ارتآه ابن سعدان الكوفى تبعا للفراء واليزيدى لم يرتضه أحد من النحاه بعده ، فهو من جهة العقــل

(١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥) انظر : النكت الحسان لأبى حيان ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ وتهذيب اللغة للأزهرى ٣٦٣/١٠ — ٣٦٥ « كلا » وغايات البيان فى معرفة ماعات القــرآن لابراهيم بن عمر الجعبرى ص ٢٤١ ، ٢٤٢ تحقيق وتكميل د / عبد الحميد محمود الوكيل .

(١٠١) من بحر الطويل قاله يزيد بن الطثرية (يزيد بن سلمة بن سحرة) انظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٣٤٠/٢ والانصاف ٤٠٢/١ .

(١٠٢) سورة المؤمنون من الآية ١٠٠ .

(*) سورة المدثر الآية ٣٢ .

مرفوض ومن جهة القياس غير جيد ، اذ لا وجه للتشـــابه بينها وبين « سوف » وقد علق عليه أبو حيان بقوله : «وهذا مذهب غريب»(١٠٦) اهـ

والرأى الصـــحيح والمعتمد ــ فى نظرى ــ ما ذكره ســـيبويه ، لأمرين :

الأول : أنها لم تقع فى القرآن الكريم الا فى السور المكية التى فيها معنى التهديد والوعيد غالبـــا ، لأن أكثر عتو المشركين وتجبرهم كان بمكة(١٠٧) .

الثانى : أن هذا المعنى هو المستفاد منها ، وان لم يذكر قبلها شىء يتوجه اليه ، وذلك جلى فى قوله ــ تعالى : « علم الانسان مالم يعلم . كلا ان الانسان ليطغى »(١٠٨) .

قال الزمخشرى(١٠٩) : « فكلا ــ هنا ــ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر ، لدلالة الكلام عليه » اهـ .

ثانيا ــ آراؤه الصرفية :

١ ــ من معانى صيغة « فاعل » وما يترتب على ذلك :

ذكر الصرفيون من معانيها : الاقتسام والاشتراك بمعنى أن الطرفين شريكان فى الفاعلية والمفعولية من جهة اللفظ والمعنى .

فمن ناحية اللفظ يمكن جعل كل منهما فاعلا ومفعولا ، ومن ناحية

---

(١٠٦) انظر : التذييل والتكميل جـ ٧ ص ٦٤ رسالة والهمع ٢/٧٥ .

(١٠٧) انظر : شرح كلا وبلى ونعم لمكى بن أبى طالب ص ٢٣ ، ٢٤ تحقيق د / أحمد حسن فرحات .

(١٠٨) سورة القلم الآيتان رقم ٥ ، ٦ .

(١٠٩) الكشاف ٤/٢٤ وانظر : البحر المحيط ٨/٤٩٣ .

المعنى أنهما شريكان فى ايجاد الفعل وتحصيله • ومن هنا يمكن رفعهما معا كما أشار اليه أبو العباس ثعلب فى قوله ، وقد أشرت اليه آنفا •

قال[١١٠] : « اذا كان الفعل من الاثنين جاز رفعهما ، يقال : خاصم زيد عمرو » اه •

كما يمكن ــ أيضا ــ نصبهما معا باعتبار أن الفعل واقــع عليهما معنى ، وبناء على هذا أنه لو أتبع منصوبهما بمرفوع أو العكس لجاز كما فى قول الراجز يصف رجلا خشن القدم :

قد سالم الحيات منه القدما
الأفعــوان والشجاع الشجعما[١١١]

فقد نصب « الأفعوان » وهو بدل من « الحيات » وهو مرفوع لفظا منصوب معنى ، كما أن « القدم » بالعكس ، وذلك لأن كل شيئين تسالما فهما فاعلان ومفعولان ، وهذا ما ذكره ابن سعدان[١١٢] ، وهــو رأى صحيح قال به جمع من النحاة كسيبويه[١١٣] والمبرد[٢١٤] من البصريين ،

---

(١١٠) مجالس ثعلب القسم الثانى ص ٤١٧ .

(١١١) من الرجز اختلف فى قائله قيل : عبد بنى عبس كما فى الكتاب ٢٨٧/١ وقيل : العجاج كما فى شرح أبيات الجمل للأعلم ص ١٨٩ رســالة وقيل : أبو حيان الفقعسى كما فى المقاصد النحوية للعينى ٨٠/٤ وانظره فى : المقتضــب ٢٨٣/٣ والمخصص ١٠٦/١٦ والخصــائص ٤٣٠/٢ والخــزانة ٥٦٩/٤ .

(١١٢) انظر : التذييل والتكميل حـ ٦ مح ٥٢/١ رسالة وشرح التسهيل للرادى القسم الصرفى مح ٢٨/١ رسالة والهمع ١٦٥/١ والأشمونى مع الصبان ٦٧/٣ .

(١١٣) انظر : الكتاب ٢٨٧/١ .

(١١٤) انظر : المقتضب ٢٨٣/٣ .

والفراء[١١٥] من الكوفيين ، وابن جنى[١١٦] من البغداديين وغيرهم .

وعلته مقبولة وتوجيهه توجيه سديد ، قال ابن مالك[١١٧] : « وهذا التوجيه أسهل من أن يكون التقدير : قد سالم الحيات منه القدم وسالمت القدم الأفعوان » اه وذلك لسلامته من كثرة الحذف[١١٨] .

٢ ــ باب الادغام :

ــ ادغام أحرف الحلق فى مثلها أو أختها .

فى هذا النوع من الادغام روى محمد بن سعدان[١١٩] عن أبى محمد اليزيدى عن أبى عمرو ادغام العين المهملة فى الغين المعجمة فى قوله ــ تعالى : « واسمع غير مسمع »[١٢٠] ، ومثله قوله ــ تعالى : « ويتبع غير سبيل المؤمنين »[١٢١] . وهذا النوع من الادغام قد اختلف فيه الصرفيون على مذهبين :

المذهب الأول : مذهب سيبويه[١٢٢] أنه لا يجوز هذا الادغام لسببين :

١ ــ أن العرب أجرت هذا الحرف المعجم (الغين) مجرى حروف

---

(١١٥) انظر : معانى القرآن ١١/٣ .
(١١٦) انظر : الخصائص ٤٣٠/٢ .
(١١٧) الأشمونى مع الصبان ٦٨/٣ .
(١١٨) انظر : حاشية الصبان على الأشمونى ٦٨/٣ .
(١١٩) انظر : التذييل والتكميل حـ ٨ مح ٦١٣/٢ رسالة .
(١٢٠) سورة النساء من الآية ٤٦ .
(١٢١) سورة النساء من الآية ١١٥ .
(١٢٢) انظر : الكتاب ٤٥١/٤ والارتشاف ٣٣٦/١ والممتع ٦٨٤/٢ .

الفم ، لقربه الى الفم — فى المخرج — من العين المهملة ، وحروف الحلق لا تدغم فى حروف الفم ، ولا العكس ...

٢ — أنه لم يسمع هذا الادغام من كلام العرب ، فلم يجز أحد ادغام العين فى الغين ، للتراخى بينهما ، بسبب القرب الشديد للغين من الفم .

المذهب الثانى : مذهب المبرد[١٢٣] فقد جوز هذا النوع من الادغام، وزعم أنه مستقيم فى اللغة ، معروف جائز فى القياس .

ويعلل لذلك بقوله : « ... لأن الغين والخاء أدنى حروف الحلق الى الفم ، فاذا كانت الهاء تدغم فى الحاء ، والهاء من المخرج الأول من الحلق والحاء من الثانى ، وليس حروف الحلق بأصل للادغام ، فالمخرج الثالث أحرى أن يدغم فيما كان معه فى الحلق ، وهو متصل بحروف الفم ، كما تدغم الباء فى الفاء ، والباء من الشفة محضة ، والفاء من الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ، تقول : « اذهفى ذلك » تريد : اذهب فى ذلك ، و « اضر فرجا » تريد اضرب فرجا ، لقرب الفاء من حروف الفم ، فكذلك تقول : « امد غالبا » تريد : امدح غالبا ، « امد خلفا » تريد : امدح خلفا ، وكذلك العين نحو « اسمخلفا » تريد : اسمع خلفا ، و « اسمغالبا » تريد اسمع غالبا » اهـ[١٢٤] .

ومن هذا العرض يتضح لنا أن ما رواه ابن سعدان عن اليزيدى عن أبى عمرو فيه مخالفة صريحة لما ذهب اليه سيبويه ، وموافقة لما قاله المبرد وكلا المذهبين له مستنده الراسخ وحجته القوية ، وان كان المذهب الأول — فى نظرى — هو الأقوى لأمرين :

---

(١٢٣) انظر : المقتضب ٣٤٣/١ والمرجعين السابقين .

(١٢٤) المقتضب ٣٤٣/١ ، ٣٤٤ والممتع ٦٨٤/٢ .

١ ــ أن المعول عليه عند التدافع والتعارض هو السماع عن العرب، وهذا النوع من الادغام ام يسمع فالأولى ألا يعمل به .

٢ ــ متابعة الأكثرين له .

قال ابن يعيش[١٢٥] : « والذى عليــه الأكثر المنع من ذلك ، لأن الغين والخاء قد قربا من الفم شديدا فبعدت عن الحاء والعين » اهـ .

وما قرب من الفم لا يدغم فى الذى قبله بســبب اجرائه مجرى حروفه يدل على ذلك أن العرب قد تخفى معهما (أى الغين والخــاء) النون ألا ترى بعضهم يقول : « منخل »[١٢٦] ، و « منغل » فيخفى النون معهما كما يخفيها مع حروف اللسان كالقاف والكاف وغيرهما[١٢٧] .

وختاما ... أسأل الله أن ينفع به كلا من الباحثين والدارسين وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » ...

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ...

عبد الحافظ حسن العسيلى
المدرس بكلية اللغة العربية بالمنوفية

---

(١٢٥) شرح المفصل ١٣٨/١٠ .

(١٢٦) فى اللسان « نخل » المنخل : ما ينخل به ولا نظــير له الا فى قولهم : منصل وهو أحد ما جاء من الأدوات على « مفعل » بالضم ، وأما قولهم فيه « منفل » فعلى البدل للمضارعة .

(١٢٧) انظر : الأصول فى النحو لابن السراج ٤١٥/٣ .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١ — الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى تحقيق محمد أبى الفضل — مكتبة دار التراث •

٢ — ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس — الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ — ١٠٨٤ م •

٣ — أسرار النحو لابن كمال باشا تحقيق أحمد حسن حامد — منشورات دار الفكر — عمان •

٤ — الأصول فى النحو لأبى بكر بن السراج تحقيق الدكتور عبدالحسين الفتلى — مؤسسة الرسالة — بيروت •

٥ — الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى — مطبعة دار الفكر ط الأولى •

٦ — تاج العروس للزبيدى مطبعة بولاق — الناشر دار ليبيا — بنغازى •

٧ — التذييل والتكميل (شرح تسهيل ابن مالك) لأبى حيان :
الجزء الرابع اعداد الشربينى ابراهيم أبو طالب •
الجزء السابع اعداد على على حسن علوان •
الجزء الثامن اعداد سليمان محمد الحلفاوى (رسائل دكتوراة فى مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة) •

٨ — الجامع الصحيح (سنن الترمذى) تحقيق وتعليق ابراهيم عطوة عوض — مطبعة مصطفى البابى الحلبى ط الثانية سنة ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م •

٩ — الجامع الصغير فى النحو لابن هشام الأنصارى تحقيق وتعليق د / أحمد محمود الهرميل — مطبعة دار التأليف سنة ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .

١٠ — جواهر الأدب فى معرفة كلام العرب لعلاء الدين الأربلى شرح وتحقيق د / حامد أحمد نيل — مكتبة النهضة المصرية سنة ١٤٠٤ هـ .

١١ — حاشية الخضرى على ابن عقيل — مطبعة عيسى البابى الحلبى .

١٢ — خزانة الأدب ولب لسان العرب لعبد القادر البغدادى تحقيق عبد السلام محمد هارون — مطبعة الهيئة العامة للكتاب — ط الأولى سنة ١٩٧٩ م .

١٣ — سنن أبى داود — مطبعة مصطفى البابى الحلبى — ط الثانية سنة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

١٤ — شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ومعه حاشية الصبان — مطبعة الحلبى .

١٥ — شرح التسهيل للمرادى — الجزء الرابع اعداد عبد الهادى أحمد فراج .

القسم الصرفى اعداد ناصر حسين على .

رسالتا دكتوراة الأولى (فى مكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط) والثانية (فى مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة) .

١٦ — شرح التسهيل لابن مالك — رسالة دكتوراة — اعداد محمد على ابراهيم (فى مكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط) .

١٧ — شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى — مطبعة الحلبى .

١٨ ـ شرح كافية ابن الحاجب للامام الرضى ـ مطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٩ ـ شرح كلا وبلى ونعم لمكى بن أبى طالب تحقيق د / أحمد حسن فرحات ـ مطبعة دار المأمون للتراث ـ بيروت ط الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٠ ـ شرح المفصل لابن يعيش ـ دار صادر .

٢١ ـ شرح مغنى اللبيب للبدر الدمامينى ـ رسالة دكتوراة بتحقيقنا (فى مكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط) .

٢٢ ـ غايات البيان فى معرفة ماءات القرآن للامام ابراهيم بن عمر الجعبرى تحقيق وتكميل د / عبد الحميد محمود الوكيل ـ دار أبو المجد للطباعة ط الأولى سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

٢٣ ـ القاموس المحيط للفيروزابادى (مجد الدين محب بن يعقوب) الناشر مؤسسة الحلبى بالقاهرة .

٢٤ ـ الكتاب (كتاب سيبويه) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الثانية سنة ١٩٧٩ م .

٢٥ ـ اللباب فى علل البناء والاعراب لأبى البقاء العكبرى ـ رسالة دكتوراة اعداد خليل بنيان الحسون (فى مكتبة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة) .

٢٦ ـ المسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسى ـ رسالة دكتوراة اعداد محمد سعيد الحافظ (فى مكتبة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة) .

٢٧ ـ المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق وتعليق د / محمد كامل بركات ـ مطبعة دار الفكر بدمشق ط الأولى سنة ١٤٠٢هـ .

٢٨ — المقتصد فى شرح الايضاح لعبد القاهر الجرجانى تحقيق د / كاظم بحر المرجان — منشورات دار الثقافة والاعلام بالعراق سنة ١٩٨٢ م •

٢٩ — الممتع فى التصريف لابن عصفور تحقيق د / فخر الدين قبارة منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت •

٣٠ — همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية للسيوطى — مطبعة دار المعرفة — بيروت •

مشروع إعداد نسخة إلكترونية
لمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية
إعداد وتنفيذ
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
استاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في الكلية